مصطفى عبد الله بعيو

بعض المدائح التاريخية عن ليبيا

محاضرة عامة

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥

المطبعة الأهلية - بنغازى
١٩٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما

قرآن كريم

ملامح تاريخية عن ليبيا[1]

سـادتى

يسرنى أن أرحب بكم هنا ونحن على أبواب العام الجامعى الجديد ويسرنى أيضاً أن أبدأ الموسم الثقافى الذى تفضلت كلية الآداب والتربية بتنظيمه والاعداد له وأرجو أن يكون موسماً حافلا غنياً بموضوعاته وتعدد جوانبه وقد توفر للجامعة الليبية نخبة ممتازة من أعضاء هيئة التدريس فلهم منا جميعاً الشكر والتقدير على ما يبذلونه من جهود مشكورة فى سبيل تنشئة أبنائنا واعدادهم للمستقبل .

حضرات السادة

اسمحوا لى أن أقول لكم بأنى وجدت صعوبة كبيرة فى اختيار موضوع محاضرة اليوم لأن الجوانب كثيرة فى تاريخ ليبيا وكلها جديرة بالعناية وهناك أحداث تاريخية هامة تركت أثرها لا فى ليبيا وحدها بل فى البلاد المجاورة وتعدتها فيما وراء البحار والمحيطات . واذا كنا معشر الليبيين قد أهملنا تاريخنا والكشف عن جوانبه للاستفادة منه فى فهم حاضرنا استعداداً للمستقبل كما تفعل بقية الشعوب الحية التى سبقتنا فى هذا الميدان فان ذلك قد حدث فى الماضى لأسباب لا دخل لنا فيها أما وقد أصبحت أمورنا بيدنا ومسئولية مستقبل أبنائنا والأجيال القادمة فى عنقنا فلا مناص من تحمل المسئولية واختيار أنجح السبل لتنفيذها ولابد من مواجهة بعض المصاعب ولكنها لا تذكر أمام الفرص التى أصبحت مهيئة

---

1) القيت هذه المحاضرة فى الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس ١٨ نوفمبر ١٩٦٥ بمدرج رفيق بكلية الآداب والتربية فى بنغازى . وكانت هذه المحاضرة بداية لموسم المحاضرات للعام الجامعى ١٩٦٥ – ١٩٦٦ . وقد أعيد القاؤها فى قاعة جمعية الفكر بمدينة طرابلس فى الساعة التاسعة مساء من يوم السبت أول يناير ١٩٦٦ مع بعض التعديل الطفيف .

لنا جميعاً . وصدقونى اذا قلت لكم بأننا لو عرفنا أنفسنا جيداً وفهمنا ماضينا على حقيقته لتغلبنا على الكثير من المشاكل ولاتخذنا من ماضينا عبرة ومن دروسه مصباحاً يضيء لنا الطريق ويحدد لنا المعالم ويحفظ لنا شخصيتنا أسوة بما هو معمول به فى البلاد الاخرى . وصدق من قال فى الأمثال العامية :

«الماشيات يـوَرّتا الجايات» .

«واللى ما عنده قديم ما عنده جديد» .

على العموم ليس من حقى أن أطيل عليكم الحديث فى هذا الخصوص ولكنها مجرد اشارة عابرة رأيت أن أنتهزها حتى نعطى اهتمامنا لتاريخ بلادنا وهو حافل مملوء بالحوادث والأحداث التى تفيد فى فهم الكثير من الشئون العالمية التى تركت أثرها فى تاريخ البشرية حتى يومنا هذا .

فى يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٥ سجلت ليبيا حدثاً تاريخياً هاماً عندما صدر المرسوم الملكى الكريم بقانون انشاء الجامعة الليبية[٢] وبعد أيام قليلة تكون الجامعة الليبية قد قطعت من عمرها المديد ان شاء الله عشر سنوات وهى فترة قصيرة بالنسبة لأعمار الجامعات فى العالم وبالنسبة للواجبات الملقاة عليها . ويهمنى بهذه المناسبة أن أستعرض بعض الملامح التاريخية الهامة لنقف عندها سوياً ، فمؤسس هذه الجامعة هو مؤسس دولة ليبيا الحديثة[٣] وما أصعب التأسيس وما أتعبه ولا يعرف هذا النوع من الجهد الا من مارسه . ومؤسس هذه الجامعة أيضاً هو حفيد السيد محمد بن على السنوسى مؤسس الحركة السنوسية المباركة . وهو صاحب فكرة ودعوة اصلاحية ولا أريد هنا أن أتعرض لحياة هذا المصلح الكبير ولا الى أسس دعوته واهدافها ولا الى أثر هذه الدعوة فى ليبيا فهذا شىء يصعب علينا أن نحيط

---

٢) وزارة العدل ، الجريدة الرسمية للمملكة الليبية المتحدة . السنة السادسة العدد ١ ، طرابلس ، أول يناير ١٩٥٦ . مطبعة الحكومة لولاية طرابلس الغرب ، ص ٣ – ٢٠

٣) أعلن السيد محمد ادريس السنوسى ملك ليبيا المعظم استقلال المملكة الليبية يوم الاثنين ٢٤ ديسمبر ١٩٥١ .

به فى محاضرة واحدة ولكن يكفى أن نقارن بين أحوال البلاد قبل مجىء الدعوة السنوسية وبعده ، وفى رحلة الرحالة الجزائرى الورثيلانى[٤] الذى زار ليبيا فى القرن الثامن عشر فى طريقه الى الحج الشىء الكثير الذى يصور لنا حقيقة المجتمع الليبى فى ذلك الوقت قبل ظهور الدعوة السنوسية .

لقد اهتم الأوربيون بدراسة الدعوة السنوسية وفهم اهدافها وتتبعوا نشاط زعمائها وأرسلوا البعوث الى الشمال الافريقى والى ليبيا بالذات لدراسة هذه الدعوة فى موطنها الأصلى عن طريق المشاهدة والاتصال الشخصى ولم يكن هذا الاهتمام قاصراً على دولة معينة بالذات بل شمل ايطاليا والمانيا وبريطانيا وفرنسا وهذه هى الدول التى اتخذت من القارة الافريقية فى القرن التاسع عشر ميداناً لنشاطها التوسعى . وتتيجة لهذا الاهتمام شاهدت ليبيا فى القرن التاسع عشر عدداً كبيراً من الرحالة الاوربيين لدراسة أوضاعها بصفة عامة ولدراسة الدعوة السنوسية بصفة خاصة ولهؤلاء الرحالة فضل كبير فى تزويدنا بالكثير من المعلومات الاساسية لدراسة تاريخ ليبيا فى القرن التاسع عشر بما تركوه من تقارير لحكوماتهم ومؤلفات علمية دعموا بها المكتبة الأوربية وأصبحت فيما بعد من أهم المصادر التى يمكن أن نعتمد عليها فى دراسة هذه الحركة ، وبدون الرجوع اليها يعتبر أى بحث عن الحركة السنوسية ناقصاً لاسيما اذا أردنا أن نؤرخ لموقف الدول الأوربية من الدعوة السنوسية . ومن بين هؤلاء الرحالة الذين اعطوا اهتمامهم للدعوة السنوسية الرحالة الانجليزى چيمس هاملتون James Hamilton الذى جاء رأساً من جزيرة مالطة الى مدينة بنغازى فى ١٨٥٢ وتجول فى جميع انحاء شبه جزيرة برقة ودرس احوالها وقد مكث فى البلاد حوالى التسعة شهور ثم واصل سفره الى واحة سيوة ومنها الى القاهرة حيث كتب مقدمة كتابه الذى نشره فى لندن فى ١٨٥٦ تحت اسم «جولات فى شمالى افريقية» . ومع أن عنوان الكتاب قد جاء عاماً شاملا

---

٤) الحسن بن محمد الورثيلانى ؛ نزهة الانظار فى فضل علم التاريخ والاخبار ، مطبعة بيير فونتانا الشرقية بالجزائر ، ١٩٠٨ ؛ ب ، حـ ، د ، ذ ، ٨١٩ ص . هناك طبعة حجرية تم اخراجها فى تونس .

للشمال الافريقى الا أنه فى الواقع خاص ببرقة ويعتبر من أهم المصادر الأولية لدراسة احوالها فى القرن التاسع عشر ولنستمع الآن الى ماكتبه الرحالة چيمس هاملتون فى كتابه عن السنوسى الكبير •

«... والسنوسى الذى كثيراً ما اتيحت لى فرصة الحديث اليه هو مؤسس أكبر رابطة دينية اخوانية موجودة فى الوقت الحاضر فى افريقية اذ أن فروعها تمتد من مراكش الى الحجاز . وهو أحد مواطنى مستغانم وقد تعلم فى فاس . ويقيم السنوسى الآن فى مكة حيث يمتلك الى جانب بيته زاوية كبيرة . وعمره حوالى خمس وستين سنة . ومن النفوذ العظيم الذى اكتسبه السنوسى يمكن القول بأنه ليس برجل ذى ذكاء عادى . وهو شريف النسب من اسرة طيبة ...»

«وقد قدم لى السنوسى كما يجب أن يكون عليه أحد الأولياء الصالحين من العرب من حيث الدين وبهاء الطلعة . وهو قصير القامة ويركب حصاناً من انقى السلالات واثمنها ويرتدى الملابس الفاخرة ويكتحل بالكحل ويصبغ لحيته بالحناء . وهو كريم جداً ... ولا يأخذ شيئاً من أحد ولكنه دائما وفير المال . ويأكل مائة شخص أو حتى مائتين من وعاء طعام الكسكسى الخاص به ويكفيهم جميعاً وانها لمعجزة ...»[٥]

أما فرنسا فقد كان اهتمامها بالدعوة السنوسية أكثر من بقية الدول الأوربية الأخرى وذلك بسبب المقاومة العنيفة التى وجدتها فى الجزائر والتى ساهم فيها اتباع الدعوة السنوسية بنصيب كبير وعندما ارادت فرنسا التوغل فى داخل افريقية عبر الصحراء اصطدمت بمقاومة عنيفة تولى تنظيمها وقيادتها اتباع الدعوة السنوسية • والكتب الفرنسية التى تناولت التوسع الفرنسى عبر الصحراء الكبرى وفى السودان قد اعطت الجزء الأكبر منها للكلام عن المقاومة التى وجدتها القوات الفرنسية من اتباع الدعوة السنوسية هناك • وبلغ من اهتمام حكومة فرنسا بالدعوة السنوسية أن خصصت وزارة الخارجية الفرنسية ارشيفاً خاصاً بها واحتضنت أولئك الذين كرسوا انفسهم لتتبع نشاط هذه الدعوة وعلى رأسهم لويس رين Louis Rinn الذى اخرج كتابه فى ١٨٨٤ تحت اسم «المرابطون والاخوان[٦]» وهو دراسة عن الاسلام فى الجزائر • واذا كان المؤلف قد

(٥) James Hamilton; Wanderings In North Africa; John Murray, Albemarle Street, London, 1856; pp. 266 - 288.

(٦) Louis Rinn; Marabouts Et Khouan; étude sur L'Islam en Algérie, Alger, 1884; VIII, 552 pp.

تناول فى كتابه الطرق الدينية المنتشرة فى الشمال الافريقى حتى ذلك الوقت الا أنه أعطى عناية خاصة للطريقة السنوسية مستفيداً من الارشيف الذى خصصته وزارة الخارجية لهذه الطريقة فى باريس ومستفيداً أيضاً من المعلومات التى جمعها شخصياً اثناء عمله فى الادارة الفرنسية بالجزائر ووقوفه على نشاط اتباع الدعوة السنوسية هناك •

وفى مقدمة الرحالة الفرنسيين الذين أتوا الى ليبيا لدراسة أوضاعها وتتبع نشاط الحركة السنوسية بها المستشرق هنرى دوڤريه Henri Duveyrier وهو من مواليد ١٨٤٠ ومع أنه مات صغير السن فى ١٨٩٢ الا أنه قام بنشاط كبير فى الصحراء الكبرى وكانت له عدة زيارات فى ليبيا متنكراً متخذاً لنفسه اسم «سعد»[٧] حتى يخفى حقيقته وقد ترك بعد وفاته ثروة علمية كبيرة عن الصحراء الكبرى وأهلها ومازالت هذه الثروة العلمية تعتبر المرجع الأول لدراسة هذه المنطقة • وقد عرفت السلطات الفرنسية كيف تستفيد منها فى سبيل مد نفوذها فى الصحراء الكبرى واخضاع هذه المنطقة الواسعة لنفوذها رغم صعوبة المواصلات فى ذلك الوقت والموقف الصلب الذى اتخذه الطوارق ــ امراء الصحراء ــ تجاه التوسع الفرنسى •

جاء الرحالة هنرى دوڤريه الى ليبيا فى عهد السيد محمد المهدى بن السنوسى الكبير والرئيس الثانى للدعوة السنوسية ودرس نشاطها ونشر دراسته فى كتاب باسم «طريقة سيدى محمد بن على السنوسى الاسلامية والمناطق الجغرافية الخاضعة له وذلك فى سنة ١٨٨٣» • وقد قامت الجمعية الجغرافية فى باريس بنشر هذا الكتاب فى سنة ١٨٨٤[٨] • ويعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التى تناولت الطريقة السنوسية منذ نشأتها حتى ١٨٨٣ وهو المرجع الاساسى لكل ما كتبه الاوربيون عن الدعوة السنوسية فيما بعد وقد

---

(٧) René Pottier; Un Prince Saharien Méconnu, Henri Duveyrier; Librairie Plon. Paris, 1938; p. V.

(٨) H. Duveyrier; La Confrérie Musulmane de Sîdi Mohammed Ben 'Alî Es-Senoûsî et Son Domaine Géographique, Société de Géographie ; Paris; 1884, 84 pp.

اعتمدت جميع الدراسات الأوربية التى تناولت موضوع الدعوة السنوسية على هذا المرجع • واتفق الجميع على أهمية هذا الكتاب ولهذا نرى كثيراً من الأفكار والآراء التى قال بها بعض الكتاب فى فهم نشاط الدعوة السنوسية منقولا عن هذا الكتاب أو ترديد لماجاء فيه • وكتاب دوڤريه خاص بالطريقة السنوسية ولايتناول دراسة أى طريقة اخرى الا اذا اضطره البحث العلمى الى الاشارة العابرة لبعض الطرق الأخرى •

لقد ظهر كتاب دوڤريه السابق الذكر فى وقت هام بالنسبة للموقف الدولى والصراع الذى كان يسيطر على العلاقات القائمة بين بريطانيا وفرنسا• كانت بريطانيا قد احتلت مصر سنة ١٨٨٢ وأخذت تستعد لمد نفوذها فى داخل القارة الافريقية مع وادى النيل أى فى خط رأسى من الشمال الى الجنوب • وكانت فرنسا قـد تم لها الاسـتيلاء على الجزائر ثم تبعتها بالاستيلاء على تونس فى سنة ١٨٨١ وأخذت تتوغل جنوباً فى الصحراء الكبرى فى اتجاه من الغرب الى الشرق بالنسبة للقارة الافريقية • وكان لابد لهذين الاتجاهين المتعارضين أن يلتقيا وفعلا تم ذلك فى سنة ١٨٩٨ وفى منطقة فاشودة بالسودان • وحدثت أزمة دولية بين بريطانيا وفرنسا وكادت الأمور تتطور بينهما وتنذر بقيام الحرب • وبين هذين الاتجاهين المتصارعين وجدت ليبيا التى كانت تمثل آخر بقايا الدولة العثمانية فى الشمال الافريقى • وقد ساعد هذا الصراع على بقاء ليبيا بمنجاة من الوقوع فى يد أى منهما وبالتالى تأجيل مصيرها واتاحة الفرصة لايطاليا فيما بعد للاستيلاء عليها • كانت ليبيا تحت الحكم العثمانى المباشر ولكن كان حكماً معروفاً فى المناطق الساحلية وفى مناطق معينة دون غيرها ، أما الجهات الداخلية فكانت تحت الحكم العثمانى من الناحية الاسمية ولكنها من الناحية العملية كانت تخضع للادارة السنوسية ممثلة فى زواياها التى انتشرت فى جميع انحاء البلاد وكانت صمام الأمن الذى حفظ للبلاد وجودها وساعد على ازدهار الحياة فيها • وهكذا قامت ليبيا بفضل جهود اتباع الدعوة السنوسية بدور الدولة الحاجـزة Buffer State بين منطقتى النفوذ لـكل من فرنسا وبريطانيا • ولهذا نرى الكاتب الانجليزى ثرلفول Threlfall فى العدد السابع والعشرين

من مجلة «القرن التاسع عشر» الذى صدر فى لندن فى مارس سنة ١٩٠٠ يكتب مقالا يحذر فيه الأوربيين من خطر الدعوة السنوسيـــة مستشهداً بشعور الخوف الذى كان يسيطر على الفرنسيين والذى لعب دوراً كبيراً فى تسليم الفرنسيين لفاشودة بعد أن وصلوا اليها ورفعوا العلم الفرنسى عليهـــا • ويرى هذا الكاتب أن شعور الخوف الـــذى كان يسيطر على الفرنسيين من الدعوة السنوسية وانتشارها فى السودان قد ساهم الى حد كبير فى جلاء الفرنسيين عن فاشودة وانهاء الازمة التى كادت تؤدى الى قيام الحرب فى ذلك الوقت •[٩]

ولا يتم الكلام عن المصادر الفرنسية دون ذكر المصدر الثالث وهو الكتاب الذى اشترك فى اخراجـــه كل من ديبـــو Depont وكوبولانى Coppolani تحت اسم الطرق الدينية الاسلامية وقد صدر فى ١٨٩٧ بمدينة الجزائر[١٠] • ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التى تناولت دراسة الطرق الدينية الاسلامية عامة مع مراعاة وجهة النظر الاوربية فى تفسير الكثير من المظاهر الاسلاميـــة وسلوك المسلمين وقت صدور هذا الكتاب الذى صدر فى أواخر القرن التاسع عشر •

خلاصـــة القول أن هذه المصادر الفرنسية الثلاثة التى سبق لنا أن ذكرناها تعتبر اساسية وضرورية لكل من يريد أن يدرس الدعوة السنوسية ونشاطها وأن أى باحث لا يرجع الى هذه المصادر الثلاثة يعتبر مجهوده غير كامل ومع هذا علينا أن نأخذ بعين الاعتبار الجوانب الآتية عند الاستفادة من هذه المصادر •

أولا :ـــ أن المؤلفين أخطأوا فى فهم بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبويـــة التى تناولت القواعد العامة التى يجب على المسلمين اتباعها فى معاملاتهم مع أهل الكتاب •

---

(٩) T.R. Threlfall; Senussi and his threatened Holy War: A Warning, The Nineteenth Century. A monthly Review No. 27, March 1900. London P.403

(١٠) Octave Depont et Xavier Coppolani: Les Confréries Religieuses Musulmanes, Alger 1897, XXVII, 576 pp.

ثانيا :ــ من الضرورى أن ينظر الكتاب الفرنسيون الى نشاط الدعوة السنوسيــة نظرة كلها شك وارتياب وخاصــة الرحالــة دوڤريه الذى نظر الى نشاط الدعوة السنوسية نظرة كلها شك وارتياب وهو الفرنسى فى شعوره وعواطفه • وقد كانت فرنسا حديثة العهد بالاستيلاء على تونس ولم تجف بعد دماء شهداء الجزائر • والسنوسى الكبير قد حرم من بلاده الجزائر بسبب الاحتلال الفرنسى وكان يرى فى العالم الاسلامى وطناً له وما قام بتأسيس طريقته الا لانقاذ العالم الاسلامى من التوسع الأوربى وكان دوڤريه على علم بهذه الحقيقة التى دفعته الى تفسير نشاط الدعوة السنوسية على هذا الاساس من الشك والكراهية •

ثالثا :ــ أن بعض الرحالــة الأوربيين قد لاقوا مصرعهم فى الشــمال الافريقى الشىء الذى جعل دوڤريه يتخذ من هذه الأخطار التى تعرض لها الرحالة الأوربيون دليلا على الروح العدائية التى كان يضمرها اتباع الطريقة السنوسية للمسيحيين واليهود • والواقع أن تعرض بعض هؤلاء الرحالة للأخطار التى اشار اليها دوڤريه وغيره لم يكن نتيجة لأى روح عدائية دينية والدليل على ذلك أن الكثير من الرحالة لم يصلوا الى غرضهم الا بفضل المساعدة التى قدمها اتباع الطريقة السنوسية • وقد وجد الكثير من الاوربيين فى زعماء الحركة السنوسية وزواياها وقوافلها التجارية خير عون للتنقل والسفر بكل حرية وأمان مع أن نشاط هؤلاء الرحالة قد جاء فى وقت كانت فيه الفكرة التسلطية المعروفة باسم الامبريالزم **Imperialism** على أشد ما تكون وكانت القارة الافريقية هدف الحركة التوسعية الجديدة التى تزعمتها كل من فرنسا وبريطانيا ولهذا لم يكن من الطبيعى أن ينظر أهالى شمالى افريقية وخاصة اتباع الطريقة السنوسية الى هــذا النشاط الاوربى بارتياح مطلق دون شك أو حذر ومن الطبيعى أن يؤدى هذا الشك الى مصــرع بعض الرحالة • وكان فى سوء تصرف بعض الرحالة ماساعد على اثارة الاهالى ودفعهم الى الاعتداء عليهم •

ولا يتم الــكلام عن موقف بعض الدول الاوربيــة من الدعــوة السنوسية فى القرن التاسع عشر دون الاشارة الى موقف المانيا بعد أن

دخلت طرفاً ثالثاً منافساً فى الحركة التوسعية فى افريقية • نرى ذلك واضحاً فى الجهود التى بذلها الرحالة الالمانى جوستاف نختجال Gustav Nachtigal الذى أرسله امبراطور المانيا فى بعثة دبلوماسية الى السيد محمد المهدى بواحة الكفرة التى اصبحت قاعدة لنشاط الدعوة السنوسية • وكان الغرض من هذه البعثة الاستفادة من نشاط الدعوة السنوسية لمضايقة الفرنسيين فى توسعهم فى افريقية ولدراسة موقف الحركة السنوسية من حركة المهدى فى السودان ويذكر لنا الكاتب الانجليزى Threlfall فى مقاله الذى سبق أن اشرنا اليه بأن جوستاف نختجال كان الاوربى الوحيد الذى استطاع أن ينال شرف مقابلة السيد محمد المهدى[11] • وقد اثارت رحلة نختجال انتباه بقية الدول الأوربية الى الدور الذى ارادت المانيا أن تقوم به فى الصحراء الكبرى •

هذه بعض جوانب الاهتمام الذى اعطته بعض الدول الاوربية لنشاط الدعوة السنوسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والذى يصلح أن يكون اساساً لدراسة العلاقات بين ليبيا وبعض الدول الأوربية والاعتراف بالكيان الليبى فى العهد العثمانى والذى أصبح فيما بعد اساساً لنشاة دولة ليبيا الحديثة •

حضرات السادة

عندما طالبت ليبيا باستقلالها بعد الحرب العالمية الثانية كان المعارضون لهذا المطلب يأخذون على ليبيا عدم استعدادها لتحمل مثل هذه المسئولية ويستشهدون على ذلك بقلة عدد الجامعيين الذين يمكنهم ادارة شئون البلاد • وبلغ بهم التحمس لهذه الحجة أنهم قاموا باحصاء الخريجين الجامعيين وقالوا

---

11) ت.ر. ثرلفول ، المصدر السابق ص ١١ •

أنهم قد بلغوا ١٦ خريجاً عندما اعلنت ليبيا استقلالها[١٢]. واخذ الصحفيون[١٣] والكتاب الاجانب يرددون هذه الحقيقة فى كتاباتهم لدرجة أنه لايوجد كتاب حديث تناول الكلام عن استقلال ليبيا الا وذكر هذه الاحصائية . أنها حقيقة مرة ولكن الليبيين غير مسئولين عنها وهى تقف لتساند مطالبتهم بالاستقلال وتبين جناية الغير عليهم عند ما كان مسئولا عنهم* . والآن وقد أصبح الليبيون مسئولين عن انفسهم يمكننا أن ندرك الفرق تماماً وقد ازدحمت المدارس بالطلاب وتخرج الجامعيون بالمئات وأصبحت الجامعة الليبية وحدها تضم ١٦٤٦ طالباً بعد أن خرجت المئات من طلابها وعليهم جميعاً أن يساهموا فى تثبيت دعائم دولتنا الحديثة* . وبهذه المناسبة قد

(١٢ Henry Serrano villard, Libya, the New Arab Kingdom of North Africa, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1956, P. 4.

١٣) راجع صحيفة النيويورك تايمز التى صدرت فى مدينة نيويورك يوم الأحد ٢٤ مارس سنة ١٩٥٧ حيث تجد مقالا فى ص ٢٤ بقلم كاثلين مكلوغلين Kathleen Mclaughlin عن الأوضاع الاقتصادية فى ليبيا . وقد ضمن الكاتب مقاله بعض المعلومات عن حالة التعليم فى ليبيا . وفى هذا المقال نجد الكاتب يذكر أن الخريجين الجامعيين كانوا اربعة عشرة خريجاً عند اعلان الاستقلال الى جانب خمسة آلاف من الاشخاص الذين نالوا تعليماً يزيد عن الخمس سنوات . والمقال مكتوب خصيصاً لصحيفة النيويورك تايمز وقد أرسله صاحبه من منظمة الأمم المتحدة بنيويورك .

* حدث اثناء العام الدراسى ١٩٤٩ ــ ١٩٥٠ عندما كنت مديراً لمدرسة الزاوية الثانوية ان زار المستر بلت واعضاء مجلسه الاستشارى بلدة الزاوية الغربية للتعرف على البلاد وسكانها ضمن برنامجهم العام . وقد تناول الزوار طعام الغذاء فى نادى البلدة بدعوة من متصرفها فى ذلك الوقت . وقد حضر الغذاء عدد كبير من الاهالى والموظفين وتصادف أن كان جلوسى ضمن الجماعة التى أشترك معها فى الغذاء ممثل الباكستان فى المجلس وهو السفير عبد الرحيم خان الذى أخذ يشرح للجالسين معه مهمة مندوب هيئة الأمم ومجلسه الاستشارى وما زلت أذكر انه اخبرنا بزيارته للمستر بلاكلى رئيس الادارة البريطانية المسئولة عن ولاية طرابلس فى ذلك الوقت وكيف اشتكى له من قلة العناصر المتعلمة التى يمكن أن تسلم اليها مسئولية ادارة البلاد وكيف أجابه بأن هذا النقص لا يصلح أن يكون سبباً لتأخير تحقيق استقلال البلاد فالعرب الذين خرجوا من الجزيرة العربية واتوا الى شمالى افريقية واقاموا حضارتهم فى الاندلس والبلاد الأخرى التى ضموها لم يتخرجوا فى جامعة اكسفورد أو كمبردج . واذكر انى سألته ماذا كان جواب المستر بلاكلى ؟ فأخبرنى بأنه سكت ولم يعلق بشىء .

* بلغ خريجو الجامعة الليبية ٧٤٩ خريجاً حتى نهاية العام الجامعى ١٩٦٤–١٩٦٥ . وهم موزعون على كلية الآداب والتربية وكلية التجارة والاقتصاد فى بنغازى وكلية العلوم فى طرابلس . اما كلية الحقوق الموجودة فى بنغازى فانها ستخرج اول دفعة لها فى نهاية العام الجامعى الحالى ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ .

يكون من المفيد جداً أن نعود الى أوضاعنا التعليمية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر وذلك بالاستشهاد بماكتبه الرحالة الانجليزى جيمس ريتشردسون James Richardson الذى زار الاجزاء الغربية من ليبيا فى طريقه الى السودان الغربى عبر الصحراء الكبرى لدراسة تجارة العبيد فى موطنها الأصلى باعتباره عضواً فى جمعية مكافحة تجارة الرقيق • وقد نشرت رحلتـــه فى مجلدين فى سنة ١٨٤٨ باسم «رحلات فى الصحراء الكبرى فى سنتى ١٨٤٥ و ١٨٤٦» • ذكر جيمس ريتشردسون فى مقدمة كتابه بالجزء الأول «أن واحتى غات وغدامس تعطيـــان اطفالا يستطيعون القـــراءة والكتابة أكثر من أى بلدة من بلادنا مع مراعاة النسبة فى عدد السكان»[١٤]

حضـــرات الســـادة

عندما فتحت الجامعة الليبية أبوابها لأول مرة فى يناير سنة ١٩٥٦ كان عدد اعضاء هيئة التدريس بها خمسة يقومون بالتدريس بكلية الآداب والتربية بخلاف عميدها الذى كان مسئولا عن ادارة الكلية[١٥] • وكان أربعة من اعضاء هيئة التدريس قد جاءوا من جامعة الاسكندرية حتى استاذ اللغة الانجليزية وهو الاستاذ وليمز كان استاذاً للغة الانجليزية ورئيسا لقسم اللغة الانجليزية بجامعة الاسكندرية قبل التحاقه بالجامعة الليبية ، فهل هذا كان من باب الصدفة أو هو استمرار للعلاقات الثقافية القديمة التى بدأت بين الاسكندرية وبلاد المغرب • اذا أردنا أن تتبين الحقيقة فعلينا أن نعود الى الوراء ونتتبع الحقائق التاريخية فى هذا الخصوص •

فى سنة ٣٣١ ق•م• تم للاسكندر المقدونى ضم مصر لامبراطوريته وأخذ يتجه بانظاره الى الغرب قاصداً واحة سيوة • وهناك وهو فى الطريق

(١٤ James Richardson. Travels In the Great Desert of Sahara, in the years of 1845 and 1846, London, 1848, vol. 1, p. XXVI.

١٥) كان عميد الكلية هو الدكتور وليم وندل كيلاند اما اعضاء هيئة التدريس فكانوا الاستاذ الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة استاذ التاريخ الاســـلامى والاستاذ الدكتور طه الحاجرى أستاذ اللغة العربية وآدابها والأستاذ المساعد الدكتور محمد عبد الهادى أبوريـــده للفلسفة والدكتور عبد العزيز طريح لمادة الجغرافية والدكتور الاستاذ ج. وليمز لمادة اللغة الانجليزية وآدابها .

اليها اختار مكاناً على ساحل البحر الأبيض المتوسط ليكون نواة للمدينة التى أسسها والتى حملت اسمه فيما بعد وهى مدينة الاسكندرية وهكذا اقترن انشاء هذه المدينة العريقة بالاتجاه نحو المغرب فأصبحت بداية له من ناحية الشرق وارتبطت به منذ ولادتها ونمت بهذا الارتباط الذى اتخذ اشكالا متعددة ولهذا لا نعجب اذا رأينا جغرافي العرب ومؤرخيهم فى العصر الاسلامى قد اتخذوا من الاسكندرية بداية للمغرب عندما أرادوا تحديد بلاد المغرب[١٦] ويكفى أن نذكر أيضاً التعبير اللاتينى الذى كان يستعمله الرومان عندما يأتى ذكر مدينة الاسكندرية فيقولون Alexandria ad Aegyptum أى الاسكندرية التى بقرب مصر[١٧] . وهكذا اعتبروا الاسكندرية شيئا آخر غير مصر وقد شارك أهل مصر قديماً غيرهم فى هذه النظرة واعتبروا الاسكندرية دخيلة عليهم وزاد من حنقهم عليها اتخاذها عاصمة للدولة طيلة العهدين الاغريقى والرومانى حتى اذا جاء العرب فاتحين مبشرين ونقلوا عاصمة البلاد من الاسكندرية الى الفسطاط التى تقرب من العاصمة الفرعونية القديمة استبشر المصريون واعتبروا هذا الخطوة التى قام بها عمرو بن العاص حسنة من حسنات العرب الفاتحين التى قربت الهوة بين الجانبين .

وشاءت الصدف أن تظهر مدينة الاسكندرية للوجود فى الوقت الذى بلغت فيه مدينة قورينا «شحات الحالية» شأواً عظيماً فى ميدان الحضارة وكانت المشعل الذى يضيىء فى ساحل الشمال الافريقى فى ذلك الوقت حتى أنها اشتهرت باثينا الافريقية لأهمية الدور الذى قامت به . واذا كان ميلاد

---

١٦) جاء فى الصفحة الخامسة من تاريخ افريقية والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجرى وهو الجزء الأول من كتاب البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب لابن عذارى المراكشى والذى نشره مع التحقيق كل من ج.س. كولان و ا. ليڤى بروڤنسال (طبعة لندن ١٩٤٨) «... ان حد المغرب هو من ضفة النيل بالاسكندرية التى تلى بلاد المغرب الى آخر بلاد المغرب ، وحده مدينة سلا: ينقسم اقساماً: فقسم من الاسكندرية الى اطرابلس ؛ وهو اكبرها ، ..»

١٧) فى هذا الخصوص نذكر كتاب:

E. Breccia, Alexandria Ad Aegyptum, a guide to the Ancient and Modern town, and its toits Greco-Roman Museum, Bergamo, 1922.

مدينـــة الاسكندريـــة قد ارتبط بالاتجاه نحو الغرب على يد الاسكندر المقدونى فان نمو مدينة الاسكندرية وازدهارها قد قام على الاستفادة من مدن ليبيا وعلى رأسها مدينة قورينا • ان ملوك البطالمـــة الذين ورثوا امبراطورية الاسكندر فى مصـــر بذلوا جهودهم المستمرة للاستفادة من قورينا وأهلها اذ نزحت جماعات كبيرة الى الاسكندرية المدينة الجديـــدة وقد عرف ملوك البطالمة كيف يستفيدون من هذه الهجرات لتعمير مدينتهم وتطويرها حتى اذا بدأوا يؤسسون جامعتهم فى الاسكندرية استعانوا بعدد من المفكرين الموجودين فى قورينا فى ذلك الوقت ومن بين هؤلاء نذكر اراتوثينز **Eratosthenes** الذى ولد فى قورينا حوالى سنة ٢٧٥ ق•م• والذى اشتهر بنشاطه العلمى فى ميدان الجغرافية والتاريخ والرياضيات الى جانب ميدان الشعر • استقدمه ملوك البطالمة وعهدوا اليه بمكتبة جامعة الاسكندريـــة لتنظيمها والاشـــراف عليها وقـــد عرف فيما بعد بلقب «ابو الجغرافية» لجهوده الاساسية فى هذا الخصوص • والشاعر كاليماخوس **Callimachus** كان ابناً من ابنـــاء قورينا وقد اشترك فى تنظيم مكتبـــة جامعـــة الاسكندريـــة وأعد كتالوجاً خاصاً بكتب المكتبـــة الملكية فى الاسكندرية •

لقد أعطت قورينا الشـــىء الكثير الذى ساهم فى ازدهار مدينـــة الاسكندرية فى عهد ملوك البطالمة الذين عرفوا كيف يستفيدون من مدن ليبيا لتطوير مدينتهم الاسكندرية والنهوض بها حتى انتقلت اليها الأهمية التى كانت لقورينا وأصبحت مدينة الاسكندرية مركزاً للاشعاع الثقافى وأصبح لمدرسة الاسكندرية اسمها فى دور الحضارة الاغريقية وفلسفتها • واذا كان المؤرخون لمدينة قورينا واخواتها يذكرون اسباباً كثيرة يعللون بها انهيار المدن الاغريقية فى ليبيا فان ظهور مدينة الاسكندرية كان على حساب قورينا واخواتها بسبب السياسة التى اتبعها ملوك البطالمة •

ولم يقتصر دور قورينا وأهلها على الجانب الثقافى فى تطوير مدينـــة الاسكندرية عاصمة البطالمة بل ان هذا التطوير شمل الجانب الدينى ولم يقتصر فى هذه المرة على مدينة الاسكندرية بل شمل مصر بأجمعها وتعداها

جنوباً الى السودان والحبشة ، ذلك أن مارى مرقس مؤسس العقيدة المسيحية الارثوذكسية كان ابناً من ابناء قورينا وقد عاد اليها بعد هجرة اسرته الى فلسطين وانشأ كنيسة للعقيدة المسيحية ثم ذهب الى الاسكندرية باعتبارها عاصمة للثقافة الاغريقية الوثنية • وهناك استشهد بعد أن وضع نواة العقيدة المسيحية الارثوذكسية ومنها انتشرت جنوباً الى بقية وادى النيل • واذا كانت الكنيسة المرقسية التى اسست فى الاسكندرية مازالت قائمة تخلد اسم مارى مرقس بين القديسين كما خلدته مئات الكنائس والمدارس فى شتى انحاء العالم فانها شاهد كذلك على الاثر القوى الذى تركه أحد ابناء قورينا فى الاسكندرية وبقية البلاد الاخرى التى اعتنقت عقيدته المسيحية وتبركت باسمه • ومازال اللقب الدينى الذى يحمله بطريرك اقباط الجمهورية العربية المتحدة الى يومنا هذا هو لقب بابا وبطريرك الاسكندرية والديار المصرية والنوبة والحبشة والخمس مدن الغربية التى تتضمنها العبارة المنقوشة على خاتمه وهى «بطريرك الكرازة المرقسية» •

واستمرت الاسكندرية بعد العهد الاسلامى تستقبل اعداداً من علماء المغرب حيث طاب لهم المقام وافادوا واستفادوا ويصعب علينا أن نتتبع اسماءهم بالتفصيل ولكن يكفى أن نذكر أن من أهم معالم مدينة الاسكندرية قبر أبوالعباس المرسى وقبر الشاطبى وقبر الطرطوشى وغيرهم كثيرون ممن اسهموا فى الحياة العقلية والعلمية بالمدينة وتركوا آثاراً لم يقتصر نفعها على مدينة الاسكندرية وحدها بل شملت العالم الاسلامى باجمعه • واذا كانت هذه الاسماء لأشخاص قد وفدوا من الاندلس أو المغرب الأقصى فان الاسكندرية عامرة بالعائلات التى جاءت من ليبيا وساهمت فى تطوير حياتها فى العصر الحديث ويهمنى أن أذكر هذه الحقائق على سبيل المثال •

١ ــ سمحت لى الظروف أن أطلع على وقفية جامع تربانة وهو من أهم جوامع الاسكندرية التى ساهمت فى الحياة الدينية والعقلية للمدينة وأن أجد أن مؤسسه هو الحاج محمد تربانه المسراتى •

٢ ــ أن وقفية أملاك الناضورى باشا بالاسكندرية تنص على أنه فى حالة انقطاع الذرية تعود الأملاك الى سيدى ابراهيم المحجوب بمسراته

وهو وان كان قد جاء من المغرب الاقصى الا أن المقام استقر به فى مسراته حيث يوجد جامعـــه وعشيرته ومازال أهالى الاسكندرية يذكرون جهود المرحوم محمد فهمى الناضورى باشا كنقيب للاشراف وكرئيس لمجلس ادارة جمعية الشبان المسلمين بالاسكندرية .

٣ ــ ان جامع ابراهيم باشا الشيخ قام بدور هام فى الحياة الثقافية بمدينة الاسكندرية وكان اشبه بالجامع الأزهر فى مدينة القاهرة وقد أتى صاحبه من تاجوراء وقد استمر جامع الشيخ يقوم بمهمته الى أن وقع الخلاف بين عائلة الشيخ والخديوى عباس الثانى الذى أمر بانشاء فرع للأزهر بالاسكندرية لمنافسة جامع الشيخ وكان له ما أراد بعد أن قام جامع الشيخ بمهمته على أحسن ما يكون .

٤ ــ أن الشيخ عبد العزيز جاويش الذى تلقى دروسه الاولى بجامع ابراهيم باشا الشيخ والذى كان له دور هام فى الحياة السياسية فى مصر وفى نشاط الحزب الوطنى بالذات قدذهب والده الشيخ خليل تاجراً الى الاسكندرية حيث زاول نشاط مهنته فى السوق المعروف بسوق المغاربة وهو أصلا من جماعة يدر بمسراته حسب ما رواه لى المرحوم الحاج عبد الله القويرى الذى كان صديقاً له ولوالده الشيخ خليل جاويش . وكان للشيخ عبد العزيز جاويش نشاط عظيم فى الميدان التعليمى بوزارة المعارف شمل مصر بأجمعها وكان خصومه السياسيون يطعنون فيه على اساس أنه مغربى وليس بمصرى[١٨] .

وهناك امثلة كثيرة يضيق المقام عن حصرها ومن أراد المزيد من الامثلة فليراجع حجج أهم الوقفيات الخيرية بالاسكندرية وشواهد القبور خصوصاً فى مقبرة الاسكندرية العتيقة المعروفة بمقبرة العمود . واذا كانت مدينة الاسكندرية قد نجحت فى احياء جامعتها القديمة التى انشأها ملوك البطالمة والتى ساهم فى خدمتها اساتذة قورينا فانها اليوم قد استطاعت أن تساعد

---

١٨) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز . القاهرة . الطبعة الثانية سنة ١٣٨٢ هـ . ، حـ ١ ، ص ١٢٦ .

فى احياء جامعة قورينا بعد أن اتخذت من مدينة بنغازى مقراً لها وبعد أن اصدر الادريس العظيم سنة ١٩٥٥ مرسومه الكريم بانشائها • وهكذا لم تكن الصدفة هى التى جعلت الجامعة الليبية تبدأ حياتها باعضاء من هيئة التدريس ترجع غالبيتهم الى جامعة الاسكندرية •

حضـرات السـادة

فى صيف سنة ١٩٥٩ خرجت الجامعة الليبية أول دفعة لها* وبدأت تستعد لاختيار بعض الخريجين لارسالهم الى الخارج لاتمام دراستهم العالية استعداداً ليكونوا نواة لهيئة التدريس بها • وقد توالت هذه البعثات واصبح بعضهم يتابع دراسته العالية فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة وبعضهم ذهب الى جامعات فرنسا والبعض الآخر التحق بالجامعات البريطانية وفريق منهم التحق بالجامعات الامريكية • وكل هذه الجامعات تنتمى الى بلاد تربطنا بها علاقات تاريخية وقد سبق أن استعرضنا بعضها فى خطوط خفيفة وبقى علينا أن نوفى الموضوع حقه باستعراض سريع للعلاقات التى قامت بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر •

عندما اعلنت الولايات المتحدة الامريكية استقلالها فى سنة ١٧٧٦ وجدت نفسها أمام مصاعب لاتختلف كثيراً عما وجدته ليبيا عند اعلان استقلالها فى اواخر سنة ١٩٥١ وان كانت المصـاعب الامريكيـة أكثر عدداً واعقد حلا • كان من أهم هذه المصاعب حماية سفنها التجارية التى تربطها باوربا وخاصة فى البحر الأبيض المتوسط بعد أن انتقلت هذه المهمة من حكومة لندن الى حكومة فيلادلفيا عاصمة الدولة الامريكية الجديدة • ودرس الكونجرس الامريكى الوسائل المختلفة لحماية التجارة الامريكية وقر الرأى اخيراً على انشاء بحرية امريكيـة ولم يكن الموضوع سهلا فالدولة جديدة والاحتياجات كثيرة والمال قليل لمواجهة ما عليها من التزامات

* كان عدد خريجى كلية الآداب والتربية واحداً وثلاثين طالباً .

ولهذا انقسم رجال الكونجرس فى أول الأمر بخصوص موضوع انشاء البحرية الامريكية بسبب قلة المال وضرورة توفير ما يمكن توفيره لمواجهة المطالب الأخرى • وأخيراً وافق الكونجرس باغلبية قليلة على انشاء نواة للبحرية الامريكيـــة وفى نفس الوقت تابعت وزارة الخارجيـــة اتصالاتها للتخفيف من حدة الهجوم على سفنها التجارية من جانب السفن المغربية فى شمالى أفريقية ولجأت الى الطريقة المتبعة فى ذلك الوقت بين الدول الأوربية لحماية سفنها التجارية وهى دفع الاتاوات المالية والهدايا السنوية لحكام الشمال الافريقى وعقد معاهدات السلام بين الطرفين • وكانت البحريـــة الليبية فى أوج نشاطها فى أول عهد يوسف باشا القرمانلى ١٧٩٥ ــ ١٨٣٢م ولم يقبل يوسف باشا أن تعامله الولايات المتحدة الامريكية بأقل مما كانت تعامل به زميلـــه داى الجزائر وان أظهرت الولايات المتحدة الامريكيـــة استعدادها لتقديم الترضية المناسبة ليوسف باشا القرمانلى ، كل ذلك الى جانب المساعى الدبلوماسية التى قامت بها حكومة الولايات المتحدة الامريكية سواء عن طريق قنصليتها فى الجزائر أو وزيرها المفوض فى لندن للوصول الى تسوية الموقف مع يوسف باشا القرمانلى • ويعطى لنا المؤرخ الامريكى جاردنر و• الن Gardner W. Allen فى كتابـــه عن البحريـــة الامريكية وقراصنة الشمال الافريقى الذى صدر فى ١٩٠٥ باسم «بحريتنا وقراصنة بلاد المغرب[١٩]» ، معلومات أولية فى هذا الخصوص • ويعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر التى تتناول دراسة العلاقات البحرية بين بلاد الشمال الافريقى والولايات المتحدة الامريكية • وما يلى بعض ما كتبه بخصوص الاتصالات الدبلوماسية التى تمت بين سفير ليبيا وممثل الولايات المتحدة الامريكية فى لندن فى سنة ١٧٨٦ من أجل الوصول الى تسوية العلاقات بين الدولتين فيقول :

«فى اوائل سنة ١٧٨٦ تقابل آدمز Adams عندما كان يشغل منصب وزير مفوض لدى انجلترا مع عبد الرحمن سفير ليبيا فى لندن وقد وصف هذه المقابلة فى خطاب الى جون جى John Jay سكرتير الشئون الخارجية بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٧٨٦ حيث يقول فى مجرى هذا الخطاب ما يأتى :

(١٩ Gardner W. Allen, our Navy and the Barbary Corsairs, Boston, New York and Chicago, 1905, xiii, 354 pp.

(يكفى القول أن سعادته أثار استفهامات كثيرة بخصوص امريكا والمناخ والتربة والحرارة والبرد الخ ولاحظ بأنها بلاد كبيرة جداً ولكن ليبيا فى حرب معها) . ورداً عليه سئل كيف تكون هناك حرب بين امتين ليست بينهما عداوة ولا اساءة ولا اهانة أو دافع من الجانبين . وأجاب سعادته بأن تركيا وليبيا والجزائر ومراكش كانت سيدة للبحر الابيض المتوسط وأنه لايمكن لأى أمة أن تعبر ذلك البحر بدون معاهدة سلام معها ...»[٢٠]

ولكن الأمور سرعان ما تطورت وأدت الى قيام الحرب بين الدولتين واستطاع يوسف باشا أن ينال انتصارات عاجلة فى بداية الحرب كان من بينها اسر السفينة الامريكية فيلادلفيا التى كلفتها البحرية الامريكية بمحاصرة ميناء طرابلس لمنع اسطول يوسف باشا من مزاولة نشاطه البحرى . وكان عدد بحارة السفينة فيلادلفيا كبيراً الشىء الذى أزعج السلطات الامريكية ودفعها لمتابعة الحرب لاجبار يوسف باشا على الصلح وقبول الجزية فى مقابل اطلاق سراح الاسرى الامريكيين وفعلا تم لها ذلك ولا يسمح الوقت لتتبع خطوات هذا النزاع البحرى فى تاريخ العلاقات بين ليبيا والولايات المتحدة الامريكية ولكن يجدر بنا أن نستعرض أحد المصادر التاريخية التى اعطتنا وصفاً دقيقاً لعقد معاهدة الصلح بين الطرفين فى سنة ١٨٠٥ وقد ورد هذا الوصف فى الكتاب الذى ألفه توماس هاريس عن حياة وخدمات وليم بينبردج قائد الباخرة فيلادلفيا التى اسرتها البحرية الليبية فى ميناء طرابلس سنة ١٨٠٣ وقد صدر هذا الكتاب فى مدينة فيلادلفيا سنة ١٨٣٧ باسم «حياة وخدمات وليم بينبردج[٢١]» وقد ضمن المؤلف كتابه بعضاً من مذكرات وليم بينبردج التى كتبها اثناء اسره فى طرابلس حيث يقول :

«فى اليوم الثالث من شهر يونيو* اجتمع مجلس بأمر من الباشا للنظر فى مواد المعاهدة وتقرير ما اذا كان من الواجب رفضها أو تعديلها . ودعى الكابتن بينبردج والمستر نيسين Nissen للحضور اثناء المناقشة .

---

٢٠) المصدر السابق ص ٣٢ ـ ٣٣

٢١) Thomas Harris, Life and Services of Commodore William Bainbridge, Philadelphia, 1837, X, 254 pp.

* كان ذلك فى سنة ١٨٠٥ .

* المستر Nissen كان قنصلا للدنمارك اثناء هذه الحوادث وكانت القنصلية الدنمركية ترعى المصالح الامريكية اثناء اغلاق قنصلية الولايات المتحدة بسبب هذه الاحداث بين الدولتين .

واقتيد الاثنان الى داخل حجرة الديوان حيث كان ينتظم اعضاء المجلس فى شكل هلال . كان رئيس الوزراء يجلس على يمين الباشا وعلى يساره جلس وزير الشئون الخارجية . وبعد دعوة الضيفين الى الجلوس أبدى الباشا ملاحظته للكابتن پينبردج بأنه اذا كان قد اعتاد اللغة الفرنسية فباستطاعته فهم المناقشات المتعلقة بالمعاهدة وبقبوله فى ديوانه قد نال شرفا لم يسبق أن منح لأى سجين فى بلاد المغرب . وطرح الباشا الذى كان يترأس الجلسة بابهة موضوع «سلم أو حرب مع الولايات المتحدة» . وبدون مناقشة الموضوع تبين فى الحال ان ستة من أعضاء المجلس كانوا فى جانب رفض المعاهدة بينما كان اثنان وهما سيدى محمد دغيس وريس البحرية فى جانب قبولها . وخاطب كل منهما الباشا بوقار وبلاغة . وبعد أن استمرت المناقشة بعض الوقت بدل اثنان من الاعضاء رأيهما وأصبحا فى جانب السلم وبذلك أصبح اعضاء المجلس منقسمين بالتساوى .

وهنا لاحظ الباشا «اربعة منكم فى صالح السلم واربعة فى صالح الحرب واى جانب على أن ارضيه ؟ كيف ساتصرف ؟» . وفجأة نهض سيدى محمد دغيس قبل أن ينطق الباشا برأيه النهائى وقال: انتم أميرنا وسيدنا ولم قدعنا هنا لنملى عليكم ولكن لتستمعوا لآرائنا ويبقى لكم الآن أن تتصرفوا كما تشاؤن ولكن دعنى التمس منكم ولمصلحتكم الخاصة ولسعادة شعبكم ان تقروا السلم .» وبمجرد أن جلس الوزير سحب الباشا فى الحال خاتمه من صدره موقعا به على المعاهدة صائحا (انه سلم)»[٢٢]

حضرات السادة

أخشى أن أكون قد أطلت الحديث عليكم وعذرى أنى حاولت استعراض بعض المواقف الخاصة فى تاريخ ليبيا لعلها تكون حافزاً لأبنائنا للحفاظ على تراثنا حتى نسلمه للأجيال القادمة أكثر تماسكا وصدق من قال

«من فات قديمه تاه»

وقانا الله واياكم شر التيه وضلال الطريق .
وشكراً لكم جميعاً والسلام .

---

٢٢) المصدر السابق ص ١٢٣ ـ ١٢٤ .

Moustafa Abdalla Baiou

PUBLIC LECTURE

1385 – 1965

THE NATIONAL PRESS — BENGHAZI

1966